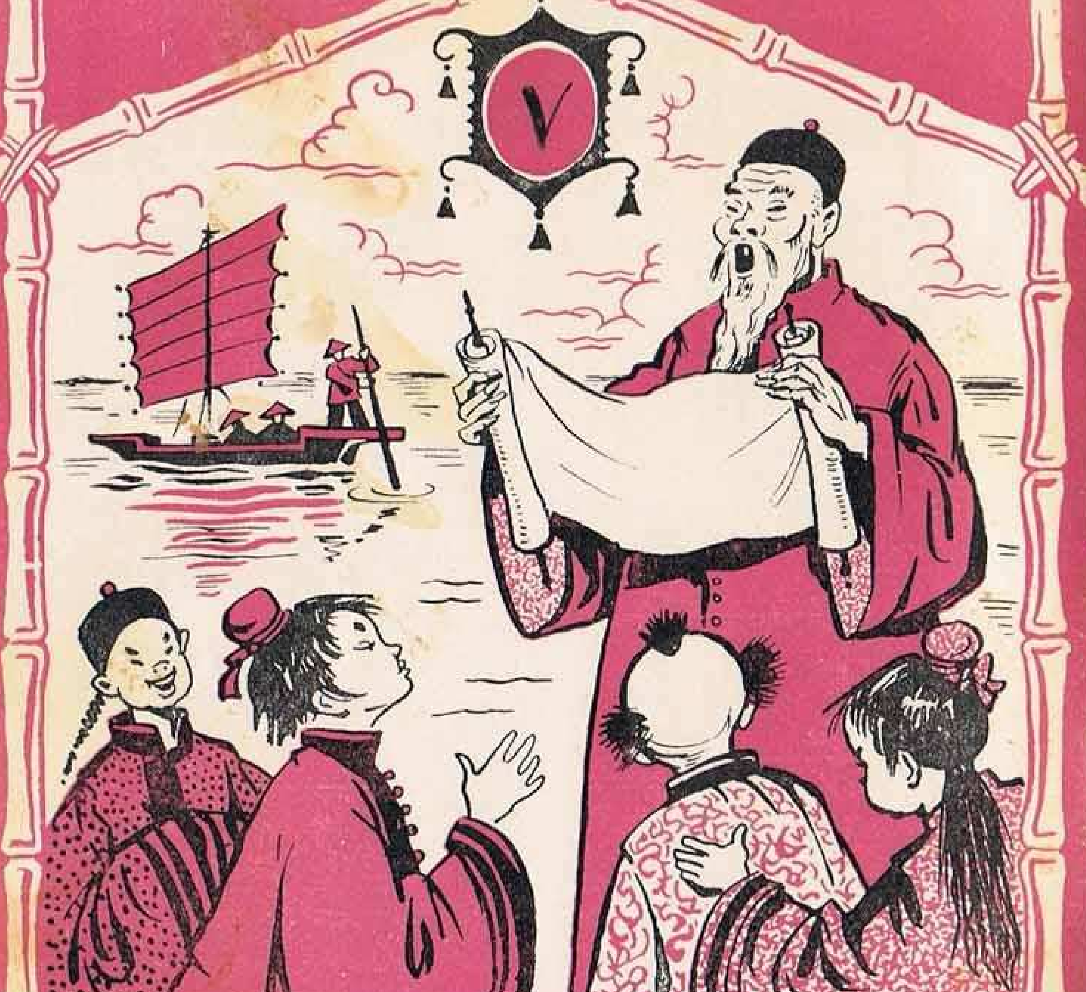
حكايات صينية



لُوا الأحْدَب

دار المعارف بمصر

حكايات صينية

مجموعة من الحكايات الشائقة اللطيفة التى تصور للناشئة العربية بلاد الصين وأخلاق أهليها وجوانب من معايشهم ومجتمعاتهم ونوادرهم ولطائفهم .

● صدر منها :

دار المعارف بمصر

٢٠٨٦٢٥

ب / ٦

حكايات صينية

٧

لوا الأحدب

للأساتذة

محمد أحمد برانق   حامد محمد سليمان

تان سومين

湯書民

الطبعة الثانية

دار المعارف بمصر

لُوَا الأَحدبُ

١

كانَ هُنَاكَ رجَلٌ اسمُه لُوَا ، وكان يَعيشُ فى كوخٍ صَغير عند المكانِ الذى تَعَوَّدَ النَّاسُ أَن يَعْبُرُوا مِنْه نَهرَ « لادَا » ، وكانَ يَطحنُ الفُولَ ويبِيعُه لِلفلَّاحين ، ولقَدْ أَطلَقَ عليْه الناسُ اسمَ لُوَا الأَحْدَب لأَنَّ ظَهره كان مَحْنِيًّا .

كيف صارَ لُوَا أَحْدبَ ؟ !

يقولُ الناسُ : إن لُوَا نبت مِن أُسرةٍ فقيرةٍ ، وقَد فقَدَ أَبَوَيه صَغيرًا ، ومُنذُ طُفولتهِ وهُوَ يعْمَلُ عِندَ رجل غَنِىٍّ ، كان يكلفهُ أَعمالًا شاقَّة ، ويُحَمِّلُه أَحْمالا ثَقيلةً ، وَظلَّ لُوَا سَنواتٍ على هَذه الحالِ ، فانحَنى

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . ع . م .

ظَهرُه وعجز عَن القِيَامِ بالأَعمالِ الشَّاقَّةِ التي كانَ يقومُ بها مِن قبْلُ ، فطردَهُ سَيِّدُه من خِدمتِه .

أقامَ لُوَا لنفسِه كوخاً عِند مَعْبَرِ النهرِ ، وأَخذ يَطحنُ فيه الفُولَ ليَبيعَهُ للناسِ ، وَعاشَ حَياةً نصفُها جُوعٌ ، ونِصفُها شبَعٌ ، ولكنهُ كان سَعيدًا على الرَّغم مِن ذلك ، وكثيرًا ما كان يقولُ لنفسِه :

ــ إن المُسْتقبَلَ لنَا نحنُ الفُقراءَ ! ستكُونُ أيامُنَا أَحْسنَ وأَحْسنَ !

كانَ لوَا مُغرَماً بالغِناءِ ، وطالَمَا تردَّدتْ أَغانيه على جوانبِ نهرِ « لادَا » ، وكانَ انحِدارُ ضِفَّتَي النهرِ فى هَذه المنطقةِ شَديدًا ، وتيَّارُ النهرِ سَريعاً ، والحِجارَةُ التى يَعْبُرُ عليْها الناسُ النهْرَ مَكْسُوَّةً بالطَّحالِب ، يَصْعُبُ السَّيْرُ عَليْها ، فكان الأَغنياءُ

يركَبونَ خُيولَهم ، أَوْ يُحْمَلون فى مِحَفَّاتٍ ، حتى يَسْتطيعوا أَن يَعْبُروا النهْرَ فى سَلام . أَمَّا الفُقراءُ فكانوا يلقَوْنَ عَناءً كَبيراً خُصوصاً الشُّيوخَ وَالأَطفالَ ، وكثيراً ما كانَتْ تنزَلِقُ أَقدامُهمْ وهم يُحَاوِلون عُبورَ النهْرِ ، وأَحْياناً كانَ يَجْرِفُهمْ تيَّارُ النهْرِ السَّريعُ .

وَذات يَوْمٍ كانَ لُوَا يقِفُ على شاطئِ النهْرِ ، فقال لنفسِه :

ــ كَم يَكُونُ جَميلاً أَن يُنْشَأَ جِسرٌ على هَذا النهْرِ ؟ إن السَّيِّدَ لديْه نقُودٌ كثيرةٌ ولكنَّه لا يُريدُ أن يَدْفع ، وَالفُقراءُ يُريدون أَن يَدْفَعوا النُّقودَ ولكنهم لا يملكونَ شيئاً ! ماذا نَصْنَعُ ؟

وفى هذا الوقتِ كان طِفلٌ يعْبُرُ النهْرَ ، فانزلَقتْ قَدَمُهُ ، ودَفَعهُ التَّيَّارُ ، فَأَسرَع لوَا وقفَز فى النَّهرِ

وأَنْقذَ الطِّفْلَ .

ومُنذُ ذلكَ اليَوْمِ أَخَذتْ فِكرةٌ جَديدةٌ تُلِحُّ على الأَحْدَبِ :

ـ إنى لا أَمْلِكُ نُقودًا ، ولكنَّ ظَهرِى الأَحْدَبَ صالحٌ لِحَمْلِ الناسِ ؛ إذنْ يجبُ أَن أُساعِدَ الفُقراءَ الشُّيوخَ والأَطفالَ ليَعْبُرُوا النهرَ كلَّ يَوْمٍ !

٢

أَخْرَجَ لُوَا الأَحْدَبُ رَحاهُ إلى خارجِ الكُوخِ ، وكانَ ـ وهُوَ يَطحنُ الفُولَ ـ يَرْقُبُ الناسَ وهُمْ يَعْبُرونَ النَّهرَ ، وكلما رأى السَّيِّدَ أَو أَحَد أَفرادِ أُسرتِه يَمُرُّ فى الطَّريقِ رَفَعَ رأْسَهُ وبَصَقَ ، وإذا رأَى الفُقراءَ الشُّيوخَ أَو الأَطفالَ يُرِيدونَ عُبورَ النَّهرِ تركَ رَحاهُ وأَسرعَ لمساعدتِهِمْ مُبْتَسِماً وَهُو يُغَنِّى :

النَّهرُ سَريعُ التيَّارِ . . . والحَجرُ مُغَطًّى بالطُّحْلُب
تَعلَّقْ جَيِّدًا وبِسرورٍ بظَهرِىَ الأَحْدَب
سَيَحْمِلُكَ لوَا عَبْرَ النهْرِ . . .
وَستَعُودُ إلى بيْتِكَ فى سَلامٍ وَأَمْنٍ ! !

وَعِندَ ما يَبلغُ مُنتَصَفَ النَّهْرِ حَيثُ يَجْرِى الماءُ

بِسُرْعَةٍ كانَ يُطَمْئِنُ مَنْ يَحْمِلُهُ مُغنِّياً :

على ظَهْرِي الْأَحدبِ أَنتَ فى أَمانٍ . . .

فلا تَخْشَ شَيْئاً ، ولا تَضْطرِبْ . . .

ظَهْرِي الأَحْدبُ أَمانٌ كجبَلِ السَّحابِ الأَبْيض..

حيثُ ترَى أَجْمَلَ المناظرِ والصُّور !

٣

وَذاتَ يَوْمٍ أَقبَلَ رجُلٌ ذُو لِحْيَةٍ بيْضاءَ ، وكانَ يَلبَسُ حِذاءً أَحمرَ ، ويَحْملُ صُرَّةً على ظَهره ، وَاقْتَرَبَ الرجُلُ من النهر وهُوَ يرْتَعِدُ ، وعِندَ ما رأى تَيَّارَ النَّهرِ تنهَّدَ ، فأَسرَعَ نحوَه لُوَا الأَحْدبُ ، يُغَنِّى وَيَبْتسِمُ :

النَّهرُ سريعُ التَّيَّارِ . وَالحَجَرُ مُغطًّى بالطُّحْلب .

تَعَلَّقْ جَيِّدًا وبسرورٍ بظَهرىَ الأَحْدب .

وَعِندَ ما بلَغَ الأَحْدبُ الضِّفَّةَ الأُخْرى قَفزَ الشَّيْخُ عن ظَهرِه وتَركَهُ دُون كلِمة ، فدارَ الأَحْدبُ وعادَ ، ولكنَّهُ تبيَّنَ أَنَّ الشَّيْخَ قدْ نَسِىَ صُرَّتَهُ على الشَّاطىءِ ، فالْتقطَها ، وَأَسرَعَ خَلْفَ الرَّجُلِ .

كانَ الشَّيْخُ يَسيرُ بسُرعةٍ ، ولم يَسْتطِعْ لُوَا أَن يُدْرِكَهُ إلَّا بعدَ أَن سارَ أَكْثرَ من ثلاثَةِ كيلومتْراتٍ .

وقدَّمَ لُوَا الصُّرَّةَ إلى الشَّيخِ فى أدبٍ ، فَأَخْرجَ الشَّيخُ حبةَ فولٍ ذَهَبيةً من الصُّرَّةِ ، وقدَّمها للأَحْدب قائلًا :

– ضعْ هَذه الفُولةَ الكَبيرَةَ فى الرَّحَى ! لن تَكُونَ فى حاجةٍ إلى فولٍ بَعدَ الْيَوْمِ ! سَيَخْرُجُ من رَحاكَ فُولٌ مَطحونٌ ما دامتْ تَدُورُ ، وَلنْ يَنتَهِىَ هذا الفُولُ أَبدًا ! !

قالَ الشَّيخُ هَذا ومضَى يُسْرعُ فى خَطْوِه ، وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بلِحْيَتِهِ البَيْضاء .

٤

أَخذَ لُوَا الأَحْدبُ الْفُولةَ ، وَعَادَ إلى كُوخِه ، ثم وَضعَ الْفُولَةَ فى الرّحَى ، وَأَدَارَها فرَأَى الْفُولَ يخْرُجُ مِنها وَكأَنَّهُ لا نِهايَةَ له . وَمُنْذُ ذلكَ الوقتِ أَخذَ لوَا يدَّخِرُ ثمنَ ما يَبيعهُ منَ الفُولِ ليَبْنِىَ جِسْرًا حَجَرِيًّا عَلَى النَّهرِ . ولكنَّ هذا لمْ يَصْرِفْهُ عن أن يَبْذُلَ مَا فى وُسْعِهِ لِيَحْمِلَ الشُّيوخَ وَالأَطْفالَ منَ الْفُقَراءِ ويَعْبر النهْرَ بهم .

وذَاتَ يوْم عَادَ الشيخُ ذُو اللِّحْيَةِ الْبَيْضَاءِ مرَّةً أُخْرَى إلى كوخِ لُوَا وقال له :

– يَا لُوَا الْأَحْدبُ ! أُريدُ أَن آكُلَ خَمْسَ قِطَعٍ من خُبْزِ الْفُولِ !

أَعَدَّ لُوا خَمْسَ قِطع من خُبْزِ الْفُولِ فورًا ، ثُمَّ قَدَّمَها للشيخ ، فقالَ الرَّجلُ :

ـ أُريدُ أن أَعْبُرَ النَّهْرَ ، احْمِلنى يا لُوا .

حملَ لُوا الرَّجلَ ذا اللِّحْيةِ الْبيْضاء ، وعِندما بدأَ لُوَا الأَحْدَبُ يَعْبُرُ النهرَ أَسْقطَ الشيخُ قِطعَ الْخبزِ ، فسقطتْ قطعةٌ عنْدَ الضِّفَّة الأولى ، وفى النهرِ سَقَطَتْ ثلاثُ قطعٍ وعِندَ الضفَّة الأَخرى سقطتْ القطعةُ الأَخيرةُ ، وقفز الرَّجُلُ إلى الأَرضِ ، ومَضى دونَ أن ينطِقَ بكلمةٍ ، والرِّيحُ تعْبَثُ بلِحْيته البيضاء .

وفى الصَّباحِ التَّالى وَقفَ لُوَا الأَحْدَبُ عندبابِ الكُوخِ ، وَدُهِشَ عندما رأى خمسَ قِطَعٍ حَجَريةٍ كَبيرَةٍ بيضاءَ فى لوْنِ الثَّلج ، وقد اسْتقامتْ عَبْرَ النهرِ ، وكانَتْ هذه القطعُ الخمسُ تَصْلُح أن

تكُونَ أَساساً لِلْجِسْرِ ، فقالَ لوَا لنفْسهِ :

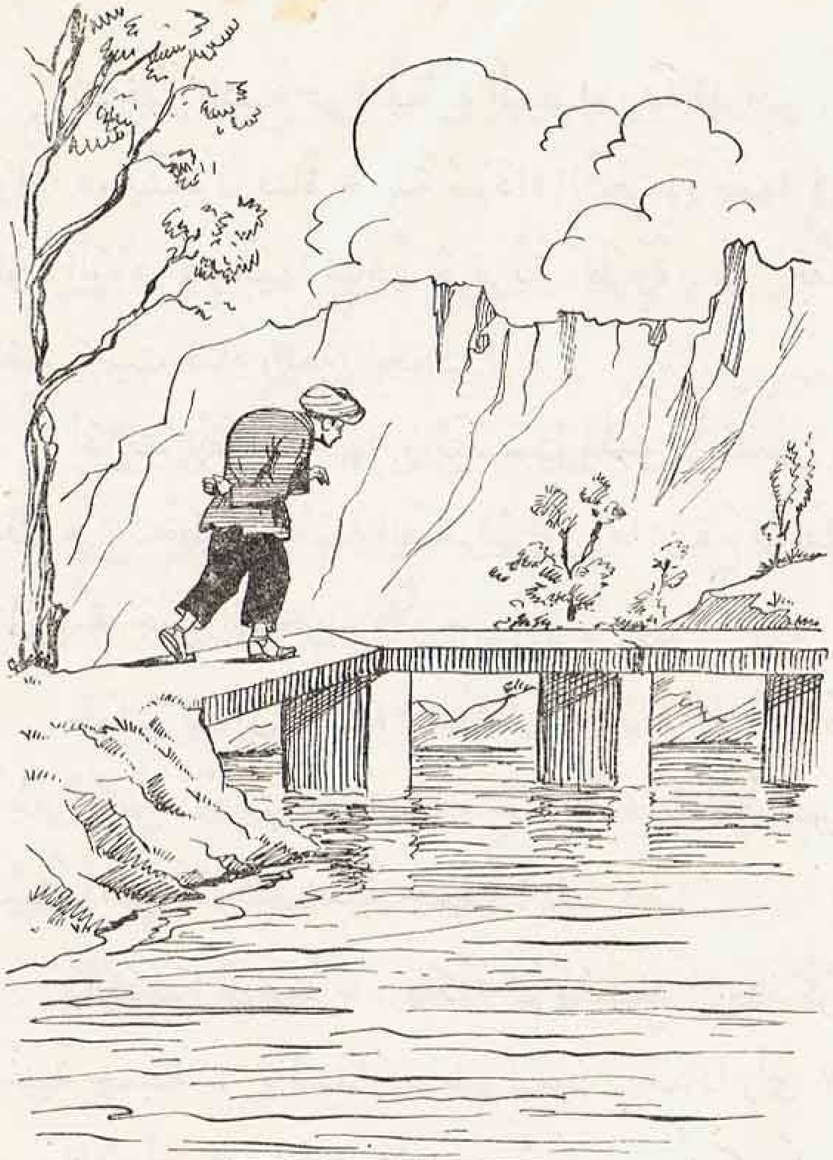
ـ أَساسُ الجسْرِ فقط ! وَأَيْنَ الجِسْرُ ؟ إنالنَّاسَ لا يَسْتطِيعون الْعُبورَ عَليهِ !

وَفَجْأَةً أَبْصرَ الرَّجُلَ ذَا اللِّحيةِ الْبيضاءِ يَعُودُ مرةً أُخْرى .

خلَعَ الشيخُ حِذَاءَهُ ، وَوَضعهُ عَلَى الأَرضِ ، ثمَّ قالَ :

ـ يا لُوَا الأَحْدَبُ ! إنَّ قَدَمَىَّ قد أَدْماهُما السَّيْرُ ! أَحْضِرْ لى أَرْبعَ قِطعٍ رقيقَةٍ من خُبز الْفُولِ لِأَضَعَها عَلَى قَدَمَىَّ !

أخذَ لُوَا أَرْبعَ قِطَعٍ من خُبْزِ الْفُولِ ، وَقدَّمها للشيخِ ، فوضعَ كلَّ اثنتينِ منها على قَدَمٍ من قدميْهِ الدَّامِيتيْنِ ، ثمّ وقفَ الرّجلُ وقالَ :


ورأى لوا على نهر لادا جسراً حجرياً كبيراً . . .

ـ يا لُوا ! اَعْبُرْ بى النهرَ الآنَ !

حَمَلَ لُوا الرَّجُلَ ، وبَيْنَما هما يَعْبُران النهرَ كانَ الشيخُ ينْزِعُ القِطَعَ واحِدَةً بعدَ الأخرى ، ويُلْقى بها فى النهر ، فقالَ لوَا :

ـ أَيُّها الجدُّ الكَبيرُ ، لقد تركْتَ حِذاءَك فى كُوخى ، وأَنتَ الآنَ تُلقى بِقَطع الخبزِ فى النهرِ ؛ فكيفِ تَسِيرُ عندما تبْلغُ الضِّفةَ الأُخرَى ؟ !

فقهقه الشيخُ مرّتيْنِ بصوْتٍ مُرْتفِعٍ ،ولمْ يَقُلْ شيْئاً .

وَعِنْدما بلَغا الضِّفةَ الأُخْرَى قفزَ الشَّيْخُ إلى الأَرضِ ، ثمّ ابْتَسمَ وقالَ :

ـ يا لُوَا الأَحْدبُ ! أَنتَ إنسانٌ طَيِّبٌ ! عُدْ إلى بيْتِكَ ، وَالْبسْ حِذائى الأَحْمَرَ . . وَسَيَحْمِلُكَ الحِذَاءُ إلى مَكانى ، وَسأَشْفِى ظَهْرَكَ الأَحْدَبَ !

ثمّ قفزَ الشيخُ ذو اللِّحْيَةِ الْبيضاءِ عِدَّةَ قفزاتٍ ، وَإذا هو يتحَوَّلُ فتاةً جميلَةً سَوْداءَ الشَّعْرِ ، وَجْهُها فى لوْنِ الْوَرْدِ ، وعليْها ثِيابٌ حَرِيرِيَّةٌ مُطَرَّزَةٌ . . . حقًّا لقد كانتْ فتاةً رائِعةَ الجمالِ !

أَدارتِ الْفتاةُ رأْسها وَابْتَسَمتْ لِلُوَا الْأَحْدَبِ ، وفيما هىَ تخْطو بقدَمَيها الصَّغيرتيْنِ رَآها ترتفِعُ بخفَّةٍ إلى قِمَّةِ جَبَلِ السَّحابِ الأَبيضِ .

حمْلقَ لوا إلى الْفتاةِ بدَهْشة ، وتذكَّرَ ما حَكاهُ أَجْدادُهُ منْ أنّهُ يوجَدُ عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ السَّحابِ الأَبيضِ بيْتٌ ذَهَبىٌّ تَسْكُنُه جِنّيَّةٌ جميلةٌ !

وَأَرادَ لُوَا أَن يُغنِّىَ ، ولكنَّهُ لم يَسْتَطِعْ أَن يتذكَّرَ أُغْنيةً جميلَةً ، واسْتَدَارَ ببطءٍ ليَعودَ ، فماذا رأى ؟

لقدْ رأى على نهرِ «لاَدَا» جِسْرًا حَجريًّا كبيرًا ،

ذَا فتَحَاتٍ أَربع ، وَكانَ سَطْحُ الجِسْرِ مكوَّناً منْ أَربع قِطعٍ حَجريَّةٍ بيضاء .

ضَحكَ لوا وَأَخذَ يقْفِزُ مَسْرُورًا ، وَعبرَ الجسْرَ الحجرِىَّ الكبيرَ وقلْبُه يكادُ يَطيرُ فرَحاً ، وعاد إلى كُوخِه ، فلَبِسَ الحِذَاءَ الأَحمرَ الذى تركَهُ الشَّيخُ ، ثمّ أَخذَ يَسِير علَى الْجِسْرِ جيئَة وَذَهاباً وهوَ يَتلفَّتُ ضاحِكاً ، وفجأَة هبّتْ نَسْمةٌ فإذا الحِذَاءُ الأَحْمرُ ينْقلِبُ طاوُوسَيْنِ يَحْملانِ لوَا الأَحْدَبَ ، ويَطيرانِ بهِ مُتَّجِهَيْنِ نحْوَ قِمَّةِ جَبَلِ السّحابِ الأَبيَضِ . ويَنْظرُ لوا فيرَى كوخَه يَطيرُ أَيضاً نحو قِمَّةِ الْجَبَل ، ولمْ يَبْقَ علَى الأَرضِ غيرُ رَحاهُ التى كانَ يَطْحَنُ بها الْفُولَ .

٥

أَقبلَ الْفُقراءُ إلى رَحَى لُوَا الأَحْدبِ ، وَأَخذوا يُدِيرونَها وَالْفُولُ الْمَطْحُونُ يخرُجُ مِنها بِلَا انقِطاعٍ ، وَهُمْ يَنْقلُونُه أَحْمالًا أَحْمالاً إلى بُيُوتِهِمْ .

وبلَغَ الخبرُ سَمْعَ سَيِّدِ لُوَا — وَكانَ هذا السَّيِّدُ هوَ نفسُهُ الَّذِى حَمَّلَ لُوَا منَ الأَعمالِ مَا حَنَى ظَهْرَهُ — فأَحْضرَ خادِمينِ منْ خَدَمِهِ ، وَأَمرَهما أَن يحمِلاَ الرَّحَى إلى بيْتِهِ . . . لقدْ أَرادَ أَن يَسْتأْثِرَ وَحْدَهُ بهذِهِ الرَّحَى الْعَجيبَةِ !

وَفى مُنْتصفِ الطريقِ إلى بيْتِ المالكِ هَبَّتْ رِيحٌ شَديدةٌ رَفَعتِ الرَّحَى إلى السَّماءِ ، وَفى صَوْتٍ كَهَزِيمِ

الرَّعْدِ سَقطَت الرَّحى ، وَسَحقتِ السَّيِّدَ ، وتحطَّمَتْ هِيَ أَيضاً .

* * *

بَعْدَ ذلِكَ كانَ النَّاسُ يرُوحُونَ وَيَغْدُون عَلَى هذا الجِسْر مَسْرُورينَ ، دُونَ أَن يُحِسُّوا أَىّ اضْطِرابٍ أَوْ خَوْفٍ منَ التَّيارِ السَّريعِ ، وكانَ النَّاسُ أَحْياناً يتراءَى لهمْ شَبَحُ لوَا الأَحْدَب عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ السَّحابِ الأَبْيَضِ وَهُوَ يُغَنِّى وَمَعه فَتاةٌ جميلَةٌ ، وقَدِ اسْتَقامَ ظَهْرُهُ ، وزالتْ حَدَبَتُهُ .

بَائعُ الزّيتِ وَالقائِدُ

اشْتهرَ أَحَدُ القُوَّادِ بالْمَهارَةِ فى الرِّمايةِ ، وذات يومٍ كانَ فِى مَيْدان الرِّمَايةِ وحْدهُ ، فأَطْلَقَ عَشرَةَ سهامٍ أَصابَتْ تِسْعَةٌ مِنها الهدفَ .

سُرَّ القائدُ كثيرًا ، وظَنَّ أَنَّ قُدْرَتَهُ عَلَى الرِّمَايَةِ قد بَلغتِ الغايةَ ، وأَنه لا يمكنُ أَنْ ينافِسَهُ أَحد ؛ ولكنْ حَدَثَ فى هذهِ اللحظةِ ما جَعَلَهُ يُحِسُّ بكثيرٍ مِنَ الضِّيق ، فقدْ كانَ بائعُ زَيْتٍ عَجُوزٌ يَمُرُّ فى الطَّرِيقِ . فوضَعَ بِضَاعَتَه على الأَرْضِ ، وَوَقَفَ لِيَرَى ، وعندما رَأَى بَائعُ الزَّيْتِ أَنَّ السَّهمَ الْعَاشِرَ قدْ فَشِلَ فى إِصَابةِ الْهَدفِ ، هَزَّ رَأْسَهُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ، وَحَمَلَ

بِضاعَتَهُ على كَتِفِهِ ، وَتأَهَّبَ لِلْمَسِيرِ .

رَأى القائِدُ هذا ، فأَحَسَّ بِالضِّيقِ ، وَصاحَ بِبائِعِ الزَّيْتِ :

ـ لِمَاذَا تَضْحَكُ أَيها الرَّجُلُ ؟ ! تِسْعَةُ أَسهم مِنْ عَشْرَةِ أَصابَتِ الْهَدَفَ . . . أَلَيْسَ هذا حَسناً ؟ ! هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْمِىَ خَيْرًا مِنِّى ؟ !

وَضَعَ بَائِعُ الزَّيْتِ بِضاعَتَهُ على الأَرْضِ ، وَأَخَذَ إِحْدَى زُجاجاتِ الزَّيْتِ ، وَوَضَعَ فَوْقَهَا قِطْعَةً مثْقُوبَةً مِنَ النُّقُودِ ، وَمَلأَ مِلْعَقَةً بالزَّيْتِ ، وَقَالَ لِلْقَائِدِ :

ـ انظُر الْآنَ . . .

ثُمَّ رفعَ المِلْعَقَةَ وَأَفْرَغَ الزيْتَ . .

صَنَعَ الزَّيْتُ خطًّا رَفيعاً كالخيْطِ . نَفَذَ مِنْ خلالِ ثُقبِ قِطْعَةِ النُّقُودِ ، وَلَمْ تسقُطْ . نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ خارِجَ



ودفع بائع الزيت قطعة النقود إلى القائد . . .

الزُّجاجةِ . وعنْدَما انتهى الرَّجُلُ مِنْ صبِّ الزيْتِ دَفعَ قِطْعَةَ النُّقُودِ إلى الْقائِدِ ، لِيَرى أَنَّهُ لَمْ يُصِبْها شَيْءٌ منَ الزَّيْتِ قَطُّ .

* * *

أُعْجِبَ الْقائِدُ كثِيرًا بِمَهارَةِ بائعِ الزَّيْتِ فقالَ الرَّجُلُ :

– سَيِّدِى القائِدُ ! لَيْسَ الْمُهِمُّ هُوَ نَوْعَ الْعمَلِ ، إنَّما الْمُهِمُّ هُوَ إتْقانُهُ . . . أَنْتَ ترَى زَيْتِى لَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ عنِ الزُّجَاجَةِ ، وَلكنَّ سَهْماً مِنْ سِهامِكَ الْعَشَرَةِ قَدْ ضلَّ طَرِيقَهُ . . . أَتُسَمِّى هَذا مَهارَةً ؟ !

الْبُرْجُ الشَّرْقِىُّ وَالْبُرْجُ الْغَرْبِىُّ

١

فى إحدَى مُدُنِ مُقاطَعَةِ فُوكِن يُوجَدُ مَعبَدٌ ضَخْمٌ ، يُجَاوِرُهُ بُرْجان : أَحَدُهما يَقَعُ شَرْقىَّ المَعْبدِ ، ويُسَمَّى البُرْجَ الشَّرْقىَّ ، والآخَرُ يقَعُ غَربىَّ المَعبدِ ، ويسمَّى البرْجَ الغَرْبىَّ .

ويَسْتَطيعُ كلُّ العَجائزِ والشُّيوخِ الذين يَعيشون فى هَذهِ المَدينَةِ أَنْ يُحدِّثوكَ بقِصَّةِ هذَينِ البرْجَيْنِ ، وإلَيكَ القصةَ كما يَحكونَها :

مُنذُ عِدَّةِ مِئاتٍ منَ السِّنين اسْتَأْجرَ حاكِمُ هَذِهِ المَدينةِ بَنَّاءً لِيَبنِىَ لَه بُرجَيْنِ ، وقد اشْترَطَ الحاكِمُ أَنْ يَكُونَ البُرْجان مُتَماثِلَيْنِ على قَدْرِ الإمكانِ ، وأَنْ يَتِمَّ بِناؤُهما فى وَقتٍ واحِدٍ .

وعِندما سَمِعَ البَنَّاءُ هذا شَعَرَ بأَنَّه لَيسَ مِن الصعْبِ أَنْ يكونَ مُحيطُ البرْجَينِ وارتِفاعُهما واحدًا ، ولَكنَّ الصُّعوبةَ القُصْوَى كانتْ فى انْتِهائِهما مَعاً ، فكَيفَ يُمْكنُ أَن يُتِمَّ بَنَّاءٌ واحدٌ بُرجَيْنِ فى وَقتٍ وَاحدٍ ؟ !

اسْتَوْلَى القَلقُ على نفْسِ البنَّاءِ ، وكان لِهذا البنَّاءِ تِلْميذٌ مُفْرِطُ الذَّكاءِ ، وكان ماهِرًا يستطيعُ أَنْ يَصْنعَ كلَّ ما تَعلَّمهُ ، عنْ أُسْتاذِه ، واسْتطاعَ فِيما يَقْرُبُ مِن ثَلاثِ سَنَواتٍ أَن يَتعلَّمَ كلَّ ما يَعْرِفُه البنَّاءُ ، ولِهذا كانَ يَعتمِدُ عليهِ ، ولا يَسْتَعينُ بغَيْرِهِ .

عَلِمَ ذلِكَ المُساعدُ (التِّلميذُ) أَنَّ الحاكمَ قدطَلبَ مِنَ البَنَّاءِ أَن يبنىَ لَه بُرْجيْنِ ، وأَنَّه لا بُدَّ أَن يُتمهُما فى وَقْتٍ واحد ، وأَنَّ البَنَّاءَ حائرٌ فى حَلِّ هذه المُشكِلةِ ، فقال لهُ مِن تِلْقاءِ نفْسِه :

ـ سَيِّدى ! سيِّدِى ! لا تنزَعِجْ . . . أَنتَ تَبْنى البرْجَ الشَّرْقىَّ ، وأَنا أَبنِى البرجَ الغَرْبىَّ . كلُّ واحدٍ مِنَّا يَبنِى بُرْجاً ، ونسْتطيعُ نحْنُ الاثْنيْنِ أَنْ نَنتَهى منهُما فى وَقت واحد . . أَلا نَسْتَطيعُ ؟ !

وَافقَ البنَّاءُ على عَرْضِ مُساعِدِه ، واتَّفَقا على أَنْ يبنِىَ مساعِدُه البرْجَ الغَرْبىَّ وأَنْ يَبْنىَ هوَالبرجَ الشرْقىَّ .

وفى اليَوْم الذى بَدأَ فِيه العَملُ فى بِناءِ البرْجَيْنِ ، كان هناكَ جُمهورٌ كَبيرٌ منَ الناسِ قدِموا منْ كلِّ نَاحيَةٍ لِيَروْا البنَّاءَ ومُساعدَه وهُما يَعْمَلانِ فى بناءِ البرْجَيْن ، وكان الناسُ قَلِقين مَخافةَ أَلَّا يكونَ عَملُ المُساعِدِ جَيِّدًا كَعَملِ أُسْتاذِه، وكان البَنَّاءُ أَيضًا لا يَفْتَأُ يَنْصَحُ مساعِدَه ويُذَكِّرُه ، ويرْجو أَنْ يُعْنَى بِعَملِه ، ولكنَّ المساعدَ كان يَبتَسِمُ ويَهُزُّ رَأْسَه دُونَ أَن يَنطِقَ بِكَلِمة .

٢

ارْتَفَعَ بِناءُ البرْجيْنِ طَبَقَة بعدَ طبقة ، وكان المساعِدُ شابًّا قويًا ، وقد تَعلَّمَ كلَّ ما يَعرِفُه البَنَّاءُ ، وكانَ يُعمِلُ فِكرَه فى عَمَلِهِ ، فاسْتطاعَ أن يَسْبِقَ مُعَلِّمَه ، ولكنَّه خَشِىَ أَلَّا يَسُرَّ ذلكَ البنَّاءَ الكبيرَ ، ولم يُرِدْ أنْ يَسْبقَ أُسْتاذَه ، فكانَ يَعمَلُ فَترَةً ، ويَتَوقَّفُ فترةً ، وكَثِيرًا ما كان يَجلسُ على سِقالته ويُغنِّى ، وكان أُستاذُه إذا سَمِعَ غِناءَه ، وهوَ على البُرْجِ الشرْقىِّ ، ظَنَّ أنَّ مُساعِدَه قد فَترَ نَشاطُه فكان يَغضَبُ ، ويُحدِّثُ نفْسَه : « لا نَسْتطيعُ أن نَتوقَّعَ خَيرًا منْ مُبتَدِئٍ ! » .

ولكنْ . . . ها هُمْ أولاءِ بَعضُ المارِّينَ فى الطَّريقِ

يَقِفون إلى جوارِ المَعبَدِ ، ويُقارِنون بَينَ البرْجيْنِ ، ثمَّ يَقولون :

ـ إنَّ البرْجَ الغَرْبىَّ أجمَلُ بِناءً منَ البرجِ الشَّرقىِّ .. لَقدْ فاقَ التِّلميذُ أُستاذَه !

ماذا ؟ التِّلميذُ أَكْثرُ مهارةً منْ مُعلِّمِه ؟ !

شَعَرَ البنَّاءُ بِالْقلقِ عِندَما سَمِعَ هذا القوْلَ ، وأَحسَّ بالْخَوفِ على شُهْرَتِه ، وخافَ أنْ يَعْهَدَ النَّاسُ من بَعدُ إلى مُساعدِه بأَنْ يُقيمَ لَهم مَبانِيَهم ، ويُلقَى هو فى زَوايا النِّسيانِ ... وهكذا دَفعَ حُبُّ الذَّاتِ البنَّاءَ إلى أنْ يُفكِّرَ فى إلْحاقِ الْأَذى بِمُساعِدِه .

٣

ومَضَى شهرٌ ، وتمَّ بِناءُ البرْجيْنِ ، ولم يَبقَ إلَّا القِمَّةُ ، وفى اليوْمِ الذى كانتِ القِمةُ ستتمُّ فِيهِ سأَلَ المساعدُ البنَّاءَ : سَيِّدى ! سيِّدِى ! بَعدَ أنْ تَتمَّ القِمةُ كَيفَ ننزلُ مِن فوْقِ البرْجِ ؟

كانَ البنَّاءُ قد فكَّرَ فى هذا مُنذُ مُدَّةٍ طويلةٍ ، فأَجابَ فوْرًا :

ـ هذا أَمْرٌ يَسيرٌ ! أَنتَ فى حاجَةٍ إلى مِظلَّةٍ فَقَطْ ، ثمَّ تَقْفِزُ بها إلى الأَرْضِ . . . هذا كلُّ ما فى الأَمْرِ !

ثمَّ أَمرَ البنَّاءُ بِمِظَلَّتيْنِ إحْداهُما منَ الورَقِ والأُخْرى مِنَ الحَديدِ ، واحْتَفظَ لِنفْسِه بالمظلة الحَديديَّةِ ، وأَعْطى مُساعدَه المِظلةَ الورَقيَّةَ . لَقدْ ظنَّ أَنَّه عِندما يَقفزُ منْ قِمَّةِ البرْجِ فإنَّ المِظلةَ الورَقيَّةَ سَتتمزَّقُ لا مَحالةَ ، وبِهذِه الطَريقةِ سيَصْطَدِمُ بالأَرْضِ ويموتُ ،



وحطمت المظلة الحديدية حاملها . . .

أَمَّا المظلَّةُ الحديديَّةُ فإنها لا يُمكنُ أَنْ تَتَحَطَّمَ .

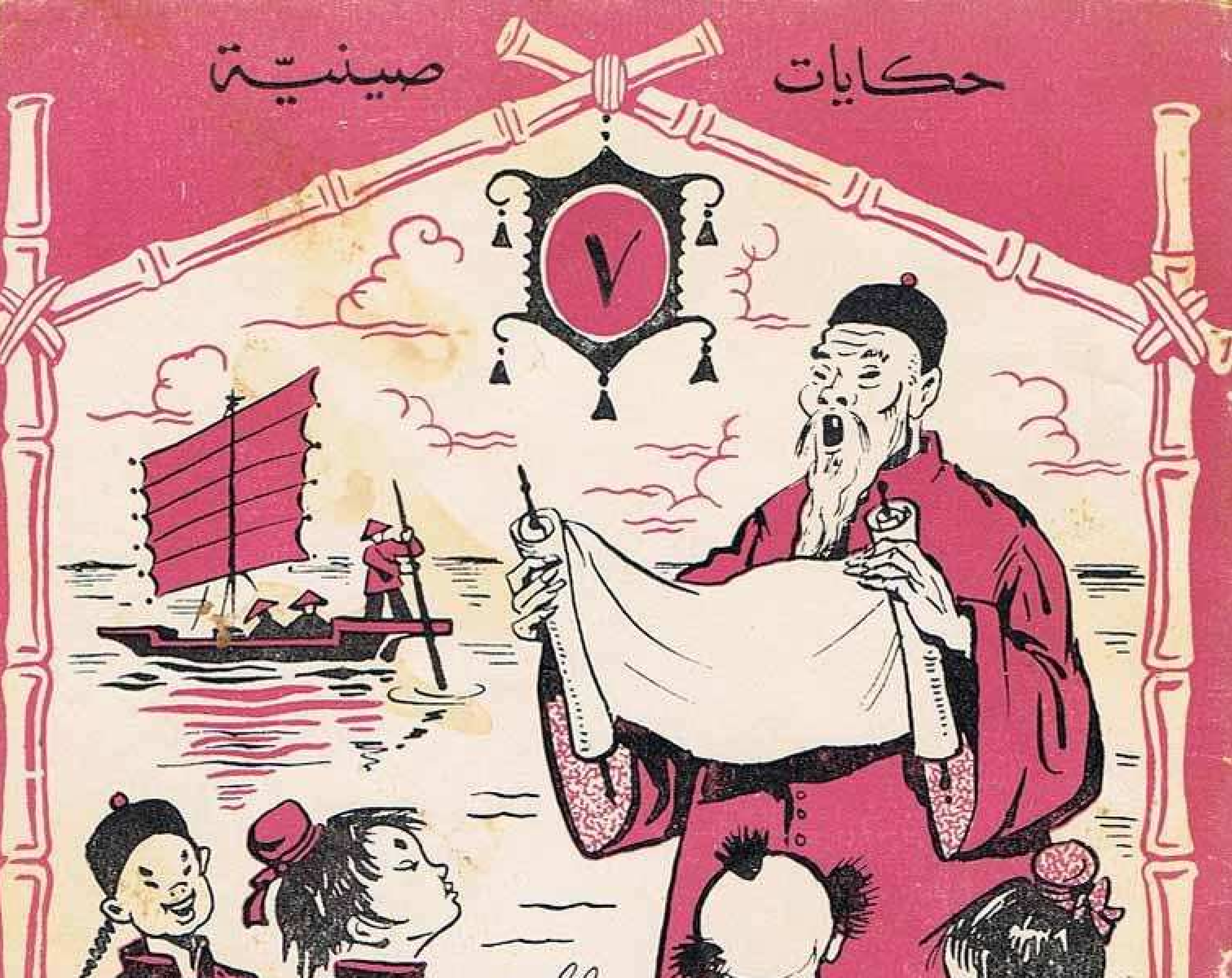
الآنَ قد تمَّتْ قِمَّتا البرجَينِ ، وَأُقيمَ احتِفالٌ كبيرٌ لِهٰذِهِ المُناسَبةِ ، كما أَنَّ الناسَ قد أَرادُوا أن يَرَوْا كيفَ يَقفِزُ البنَّاءُ ومُساعدُه مِن فَوقِ البرْجيْنِ ، وَاجْتمَعَ أَهْلُ المَدِينةِ جَميعاً . . .

أَمسَك كلٌّ مِنَ البنَّاءِ ومُساعدِهِ بمِظلَّتِه ، وفى لَحْظةٍ واحدَةٍ قَفَزا إلى الأَرضِ . كان المساعِدُ يَسْتَعمِلِ المِظَلةَ الوَرَقيَّةَ ، ولكنه أَمْسَك بها بعناية ، فلمْ تَتمَزَّقْ ، ووَصلَ إِلَى الأَرضِ سالِماً ، أَمَّا المِظلةُ الْحَديديَّةُ فقدْ حَطَّمتْ حامِلَها لِعِظَمِ ثِقَلِها .

وقال الناسُ جَميعاً إِنَّ البنَّاءَ الْكَبيرَ كان غَبِيًّا ، وكان يجبُ أَلَّا يَسْتعمِلَ المِظلةَ الْحَديدِية ، ولكِنهمْ لم يَعرِفوا ما كان يُخفِى البنَّاءُ فى نفْسِه ... لَقدْ أَرادَ أَنْ يُدَمِّرَ غيرَهُ ، ولكنَّه دَمَّرَ نفْسَه !

مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨

حكايات صينية



لُوا الأحْدَبُ

دار المعارف بمصر